

ما معنى كنيسة شرقية؟

وُلِدَت الكنيسة المسيحية في الأرض المقدسة التابعة اليوم لما نسميه الشرق الأدنى. ونمت فبشّرت الأمم وتأسّلت فيها. أمّا في الولايات المتحدة الأميركية، فمعظم الكنائس غربية لأن جذورها ترجع أصلاً إلى أوروبا الغربية، فتأثر بعضها بثقافة المغتربين الألمان أو الإيرلنديين أو الإيطاليين الذين أسسوها.

غير أن بعضها - وكنيستنا الملكية منها - قد نشأ عن يد مغتربين من أوروبا الشرقية أو الشرق الأدنى. لذا نراها تحمل طابع الأراضي المقدسة أي: أورشليم/القدس حيث أسس السيد المسيح كنيسته. وأنطاكية حيث دُعِيَ أتباع السيد المسيح مسيحيين للمرة الأولى. ودمشق حيث اعتنق القديس پولس الدين المسيحي. ولأن كنائسنا تتسم بطابع الثقافة الشرقية أطلقوا عليها لقب "الكنائس الشرقية".

في عهد الكنيسة الأولى كان ينتشر في الشرق الأدنى عددٌ من الثقافات المتنوعة، فأدى ذلك إلى نشوء تقليد خاص بكل كنيسة من هذه الكنائس. ومنها الثقافة اليونانية أو البيزنطية، لذا أمست كنائسنا تُعرف باسم الكنائس البيزنطية الكاثوليكية (نسبةً إلى بيزنطيوم وهو الاسم الأصلي لمدينة القسطنطينية). كذلك أطلقوا لقب "الملكيين" على الروم الكاثوليك نظراً لانتمائهم إلى إيمان مجمع خلقيدونية الذي عُقد في العام 451 وأيده "الملك" البيزنطي.

ما الذي يميّز تقليدنا الكنسي عن سواه؟

لنا نحن المسيحيين الشرقيين منهج خاص في ممارسة الحياة المسيحية. فإننا نركّز تفكيرنا على كوننا مدعوين إلى التّاهل. ونُتحد مع الله بقبول

الأسرار المقدسة. ونكرّم الله بالعبادة العنيفة و التقوى والخدمة. ونصلي أيضاً على انفراد. ونصوم ونشاطر مالنا. ونشعر بحاجة إلى الكفاح الروحي لتتقدّم في ممارسة ديننا.

ولعلّ أهمّ مُعتقداتنا هو إيماننا بأننا مدعوون " للمشاركة في الطبيعة الإلهية" كما ورد في رسالة القديس بطرس الثانية (1: 4) وعليه لا يقتصر إيماننا على الخلاص من الخطيئة، بل نرى أننا مدعوون لأن نحيا بحياة الله، وأن نكون لنا علاقة حميمة معه، وأن نتحد جسدياً بالمسيح، وأن يسكن الرّوح القدس فينا! ويرى آباء الكنيسة الشرقية "أن الله صار إنساناً ليصير الإنسان إلهاً" على حدّ تعبير القديس أثاناسيوس. وهذه العلاقة الحميمة مع الله إنّما تتمّ بواسطة قبولنا الأسرار المقدسة. ففي المعمودية نصبح نحن والمسيح واحداً، إذ ندفن معه ونقوم معه: فالدفن يتمّ عند تغطيسنا بالماء، وقيامتنا عند انتشالنا منه. بعد ذلك مباشرة نتلقّى موهبة الرّوح القدس، "باكورة عطايا الله" (رومة 8: 23) وذلك بالميراث المقدس (التّثبيت). وبقبولنا سرّ الإفخارستيا (القربان المقدس) نعرف أن أجسادنا المائنة إنّما تتحد بجسد ودم المسيح، كعربون للحياة الأتية الخالدة، التي بها نصير واحداً معه إلى الأبد. وعليه، لا نرى في هذه الأسرار المقدسة ممارسات تقوية، بل لقاءات مع الله، لها حقاً ما ترمز إليه من مفاعيل.

وبما أننا أعضاء في أسرة الله، فنحن ننتمي بعضنا إلى بعض، ونحيا حياة جماعية نشطة ككنيسة. فنحن نجتمع معاً للعبادة. ونمط عبادتنا في الكنائس الشرقية، يعكس كالمراة حضور المسيح التّاهض من الموت، الغامر حياتنا الجماعية بالمجد والفرح.

كما أن حواسنا كلّها تشارك في العبادة: فنشاهد الإيقونات والملابس الكهنوتية والشّموع المضاءة. ونشم رائحة البخور والعطور. ونستمع إلى التّرنيم

المستمر. وتندوّق الأطعمة المباركة. ونقوم بحركات جسدية كالإنحناء والسّجود ورسم إشارة الصليب على وجوهنا تمجيداً لله. ومن الظواهر الهامة لحياتنا الجماعية ما نختر من فرح في لقاءاتنا حيث نشترك في تناول الطّعام والحوار الأخوي ومشاطرة أوقات ممتعة معاً. أخيراً، إنّنا نساند بعضنا بعضاً في الظروف العصيبة ومعاناة ما في الحياة اليومية من متاعب. بهذه الأساليب نعبّر عن وحدتنا التي تتمّ أثناء الاحتفال بتناول القربان المقدس ونعيش هذه الوحدة يوماً فيوماً. وعلاوة على هذه الحياة المسيحية المشتركة، فإنّ الكنائس الشرقية تركّز عنايتها على ضرورة الحياة الروحية الشخصية "في الخفية، وأبوك الذي يرى في الخفية هو يجازيك" (متى 6: 6). وأهمّ هذه الممارسات، صلاة القلب الشخصية الصّامته التي بها نتحدّث شخصياً إلى الله. ومن أكثر هذه الصلوات القلبية شيوعاً عند المسيحيين الشرقيين ما يُسمّى "صلاة يسوع" التي توجز افتقارنا إلى محبة الله: "أيها الربّ يسوع المسيح، ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ".

والمطلوب من المسيحيين الشرقيين أيضاً أن يصوموا ويتصدّقوا سرّاً على اليّوساء، عملاً بوصية السيد المسيح: "إذا تصدّقت فلا تعلم شمالك ما تصنع يمينك." (متى 6: 1-8). فبدلاً من أن يكون همّنا الدائم محصوراً في إرضاء أنفسنا، نقرّر طوعاً الاهتمام بالبايسين مؤكّدين بذلك افتقارنا إلى الله.

ومع أننا مدعوون إلى التّاهل، فإنّه لا يفوتنا أن ذلك يقتضي وقتاً طويلاً: "ما أضيّق الباب وأُخرج الطريق المؤدّي إلى الحياة، وقليل هم الذين يجدونه." (متى 7: 14)

ولعلّ أكبر العقبات التي تحول دون نموّنا الروحي هي ضعف طبيعتنا التي شوّهتها الخطيئة. من هنا دعوة الكنائس الشرقية أبناءها إلى ضرورة الكفاح الروحي الباطني، ليتعلّموا

ما معنى كنيسة شرقية؟



مكتب الخدمات التربوية لأبرشية نيوتن
الملكية

<http://melkite.org/>

الصورة مقتبسة من مجلة "الحكمة/صوفيا"
الرسمية لأبرشية نيوتن الملكية

- الكنيسة القبطية الكاثوليكية - بطريركية الإسكندرية.
- الكنيسة الإريثرية الأرثوذكسية.
- الكنيسة الإثيوبية الأرثوذكسية.
- **ثانياً - التقليد الأرمني:**
- الكنيسة الأرمنية الرسولية.
- الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية.
- **ثالثاً - التقليد البيزنطي:**
- الكنائس الشرقية الأرثوذكسية وتضم 14 كنيسة مستقلة و14 كنيسة أخرى شبه مستقلة.
- الكنائس البيزنطية الكاثوليكية وتضم خمس كنائس ذات حق ذاتي، وأربع أبرشيات مستحدثة لها حقها الذاتي أيضاً.
- **رابعاً - الكنائس الأنطاكية (السورية الغربية):**
- الكنيسة السريانية الأرثوذكسية
- الكنيسة السريانية الكاثوليكية.
- كنيسة المانكار الأرثوذكسية.
- كنيسة السيروماليانكار الكاثوليكية.
- **خامساً - التقليد السوري الشرقي:**
- كنيسة الشرق الآشورية.
- الكنيسة المارونية الكاثوليكية
- الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية.
- كنيسة السيروماليانكار الكاثوليكية. (وهي تنهل من التقاليد الشرقية والغربية معاً)
- **تعدد** الطقوس والثقافات ووجهات النظر هو غنى للكنيسة. لكن لا يغربن عن باننا أنّ المسيح واحد والانجيل واحد والايمان بالكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية هو مشترك بين جميع الكنائس في شتى أقطار العالم.

إخضاع ذواتهم الضعيفة للروح القدس الذي يعمل على تاليهم. كما تشجع الكنائس الشرقية أتباعها على أن يقوموا بهذا الكفاح بتوجيه مرشد روحي. فالتوجيه الروحي ليس إذن محصوراً في الذين يعانون من مشاكل معينة، بل هو لكل واحد منا، نحن الراغبين في إنماء علاقتنا مع الله. جميع هذه العقائد والممارسات الروحية ترجع إلى أقدم العصور المسيحية. ونحن إذ نتمسك بها، إنما نحافظ على تقليد حي مرتبط بالكنيسة الأولى. وهذا دليل على حبنا لتقليدنا العريق الذي ينساب كالجدول إلينا من المسيحيين الأولين برعاية الروح القدس: فالدين المسيحي بأقدم مظاهره لا يزال يحيا عندنا في العالم الجديد!

الكنائس الشرقية اليوم

تتنتمي

الكنائس الشرقية اليوم إلى عدة تقاليد وفروع. فالفرع الكاثوليكي منها يتضمن جميع الكنائس المسماة كاثوليكية بما فيه كنيسة رومة. أما الفرع الثاني فيشمل الكنائس الأرثوذكسية ومنها اليونانية والروسية والأنطاكية إلخ. وهي تتبع الطقس البيزنطي وتعترف بمقررات المجامع المسكونية السبعة التي عُقدت في الألف الميلادي الأول.

وهناك

فرع ثالث يضم الكنائس الأرمنية والقبطية والسريانية التي لا تعترف إلا بالمجامع المسكونية الثلاثة الأولى.

أما

كنيسة الشرق فهي ليست على شركة مع أي من هذه الكنائس منذ القرن الخامس، لكن لها علاقات أخوية مع الكنيسة الكاثوليكية، لا سيما الكنيسة الكلدانية.

يمكننا أيضاً أن نفرز الكنائس الشرقية بحسب

تقاليدها الروحية والليترجية كما يلي:

أولاً - التقليد الاسكندري:

- الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - بطريركية الإسكندرية.

أحبّ مساكنك يا ربّ القوّات! تشناق وتذوب
نفسى إلى ديار الرب. ويتهيج قلبي وجسمي

بالإله الحيّ". (المزمور 84: 2-3). كانت هذه الكلمات تشير إلى هيكل سليمان بأورشليم/القدس، الذي كان يعتبره الشعب العبري في العهد القديم، دليلاً على العلاقة الخاصة القائمة بين الله وبينهم. ذلك أنّ الربّ، الإله الحقيقيّ الأوحد، كان قد اختارهم شعباً له وسكن في الهيكل بينهم، تمهيداً لمجيء السيّد المسيح. أمّا في نظر المسيحيّين فمسكن الله الحقيقيّ ليس المبنى الحجريّ، بل الجماعة الكنسيّة التي هي هيكل الرّوح القدس الحيّ.

ومع ذلك، فالمبنى مصمّم ليرمز إلى علاقتنا الحميمة مع الله. كذلك القول في الإيقونات البيزنطيّة. فالقدّيسون المعلّقة إيقوناتهم على جدران الكنيسة، مجتمعون تحت إمرة المسيح الضّابط الكلّ المرسوم على سقف القبة، وبفضل تجسّده الذي يرمز إليه الإيقونستاس، أتيح لنا أن نقف أمام عرش الله الممثل في المائدة المقدّسة، لننال نصيباً من حياته الإلهيّة.

وكما أنّ مبنى الكنيسة يذكّرنا بما صنع الله ليقترنا إليه، كذلك ما نصنعه في الكنيسة، إنّما هو تجاوب مع إحساناته. فعبادتنا هي اعتراف منّا بخلاصه ومحبّته. وهي إقرار منّا بأننا مدينون له بحياتنا، وأننا ملك له، وأنا "نودعه ذاتنا وبعضنا بعضاً وحياتنا كلّها".

إذا رجعنا إلى الأصل اليونانيّ للعهد القديم، وجدنا أنّ لفظة "عبادة" يعبر عنها بكلمة "بروسكينيّن" وهي تعني الانحناء علامة للاحترام والخضوع.

وهذا الانحناء فعل جسديّ مستعار من مراسم البلاط الملكيّ، للإعراب عمّا في قلبنا من ولاء لملك الكلّ. وقد احتفظت به الكنائس الشّرقية التي تعتبر العبادة انحناءً وخضوعاً للربّ. فجعلته انحناء عميقاً مقروناً برسم إشارة الصّليب. ودعته "مطانيّة". وهذه المطانية تقوم بما في العبادة الفردية والاحتفالات الليتurgiّة الرسميّة على السّواء، وبما نعبر عن اعتمادنا التام على حبّ الله مخلصنا وعن ثقتنا المطلقة بأنه لن يخذلنا. فالعبادة البيزنطيّة ليست إذن تقليد شخصٍ يقوم بتكريم الله

أمامنا، بل هي قيامنا الشخصيّ بهذا التّكريم. لذا يُعرب المسيحيّون الشّرقويّون عن علاقتهم الحميمة مع الله بهذه المطانية وغيرها من حركات العبادة عندما يصلّون على انفراد في المنزل أو جماعياً في الكنيسة. ولما كانت هذه الحركات غير مألوفة في الثقافة الغربيّة الدينيّة والمدنيّة، رأينا أن نشرحها فيما يلي لا لفرضها على القراء، بل لتمكينهم من فهم طرُق العبادة التي يؤدّيها المسيحيّون الشّرقويّون للربّ:

المطانية للقيام بمطانية، إنّحن إلى أن تلمس الأرض بطرف أصابع يدك اليمنى، ثم انتصبّ راسماً إشارة الصليب على وجهك وقائلاً: "اللهم اغفر لي أنا الخاطئ وارحمي".

دخول الكنيسة

ندخل

الكنيسة عادة من التّارثكس (الغرفة التحضيريّة) ومنها إلى صحن الكنيسة. و معظم الكنائس

تضع في هذه الغرفة ما يحتاج إليه المؤمنون من شموع وكتب الخدمات الدينيّة والنشرات الرّعويّة إلخ. كما يضع فيها المؤمنون التّفادام العينيّة التي يأتون بها كالقربان والخمر والزيت والبخور.

وفي بعض الكنائس يجلس المؤمنون إلى طاولة في الغرفة التحضيريّة ويسجّلون أسماء الأشخاص الذين يرغبون في إقامة الصّلاة لأجلهم، وذلك إمّا في سجلّ خاصّ أو على قصاصة من الورق تُسلّم للكاهن. كما يجد المؤمنون أحياناً في هذه الغرفة قرباناً يمكنهم شراؤه وتسليمه للكاهن مع قائمة الأسماء المطلوب ذكّرها في القدّاس الإلهيّ.

وتُعرض إيقونة أو أكثر ليكرّمها المؤمنون، وذلك إمّا في الغرفة التحضيريّة أو عند مدخل صحن الكنيسة أو في وسط الكنيسة. أمّا تكريم الإيقونة فيتمّ كما يلي: فمّ بمطانتين أمام الإيقونة وقبلها تمّ ارجع قليلاً إلى الوراء وقم بمطانية ثالثة. بعد ذلك ضع شمعة مضاءة واذهب إلى مكانك.

ودرجت العادة في كثير من الأماكن، إذا كانت الإيقونة تمثّل

السيّد المسيح أن نقبل قدميه، وإذا كانت للسيّد العذراء يديها، أمّا إذا كانت لأحد القدّيسين فنقبل جبهته. كما درجت العادة أن نقوم بثلاث مطانيات عند دخولنا صحن الكنيسة إجمالاً لحضور الله، وذلك قبل تكريم الإيقونات والذهاب إلى مكاننا.

وسواء أكانت الخدمة الدينيّة قد بدأت أم لا عند دخولك الكنيسة، تجنّب أيّ كلام غير ضروريّ في صحن الكنيسة. ذلك أنّ من يأتي الكنيسة قبل موعد الخدمة، إمّا يفعل ذلك عمومًا للاختلاء الرّوحيّ تأهبًا للمشاركة في الخدمة. لذا، إن كان لا بدّ لك أن تتحدّث إلى شخص ما، فاذهب إلى التّارثكس أو إلى البهو أو خارجًا.

أثناء الخدمة

إنّ أكثر الحركات في الخدمات الدينيّة البيزنطيّة هي إشارة الصّليب. وهي تُرسّم عمومًا في الحالات التالية:

- عند افتتاح أيّ صلاة أو خدمة.
- كلّما ذكّر الثّالوث القدّوس.
- عندما يُباركنا المحتفل بأداة مقدّسة كالصّليب أو الإنجيل أو الكأس أو الإيقونة.
- كلّما مرّ الطّواف بإحدى هذه الأدوات أمامنا. وفي بعض الكنائس كلّما باركنا المحتفل بيده أو بخزّنا.
- وفي بعض الكنائس أيضًا، كلّما رغبتنا في الإعراب عن مشاركتنا الحازّة في الصّلاة، مثلاً عند قولنا "أومن بياله واحد..." وعند بدء كلّ طلبية من الطّلبات.
- في القدّاس الإلهيّ، بعد الكلام الجوهريّ "خذواكلوا... إشربوا من هذا كلّكم..."
- أمّا المطانية، فتقام في الحالات التالية:
- عند دخولنا صحن الكنيسة.
- عندما يدعوننا المحتفل إلى ذلك بقوله: "هلمّوا نسجد ونركع..."
- عند تلاوة "قدّوس الله، قدّوس القويّ..."
- عند انتهاء تلاوة المزامير وقولنا: "هليلويا، هليلويا، هليلويا،

العبادة في بيت الرب



مكتب الخدمات التربوية
لأبرشية نيوتن الملكية
<http://mekite.org/>

حقوق الطبع والنشر للصور محفوظة عن مجلة صوفيا
مجلة الملكيين الكاثوليك أبرشية نيوتن
<http://www.conventofsaintelizabeth.org/>

في الطّقس الملكيّ يُعطى القربان المقدّس عمومًا بغمس جزء من الخبز المقدّس بالكأس المقدّسة ووضعه مباشرةً في فم المتناول. لذا ينبغي أن يكون الفم مفتوحًا جيّدًا. أما اللسان فيجوز مده قليلًا. غير أنّ معظم الكنائس البيزنطيّة توزّع القربان المقدّس بملعقة خاصّة. في هذه الحالة، لا يجوز مدّ اللسان، ولا إغلاق الفم قبل أن يكون الكاهن قد سحب الملعقة تمامًا منه. وإذا كان الكاهن يمسك مندبلا مع الكأس، فامسح به شفّتيك، ثمّ تنحّ جانبًا، وقم بمطانية، وارجع إلى مكانك.

بعد انتهاء الخدمة

في نهاية القدّاس الإلهي، يوزّع الكاهن عادةً قطعةً من الخبز المبارك الذي لم يُستعمل في القدّاس. وهذا الخبز المسمّى "أنثيدوزن"، يمكن استهلاكه فورًا أو الاحتفاظ به حتى العودة إلى المنزل ليشترك فيه من لم يستطع الحضور إلى الكنيسة. وبذلك نعرب عن وحدتنا مع الجماعة المصلية حتّى عندما لا نستطيع المشاركة في القدّاس الإلهي. وعند الفراغ من الخدمة - وفي بعض الكنائس عند اختتام القدّاس الإلهي أيضًا - يقوم المؤمنون بتقبيل الصليب أو الإيقونة التي يعرضها الكاهن للتكريم. عندئذ نقترّب، ونقوم بمطانية، فنقبّل الصليب، ثمّ نأخذ قطعة الخبز المبارك، مقبّلين يد الكاهن الذي يقدّمها لنا. بعد ذلك ننحّي جانبًا ونقوم بمطانية ونغادر الكنيسة.

■ الجمد لك يا الله.

■ عندما ندنو لتناول القربان المقدّس، أو لتكريم الأشياء المقدّسة.

■ بعد استدعاء الرّوح القدس على للقرايين في القدّاس الإلهي.

رفع اليدين: من الحركات الواردة في الصلّاة، رفع اليدين. وقد ورد ذكر هذه العادة كثيرًا في الكتاب المقدّس. وتُعتبر من المميّزات الرئيسيّة في جميع الديانات الشّائعة في الشرق الأوسط. وهي تُستعمل خصوصًا في كنيسةنا عند تلاوة الصلّاة الربّيّة "أبانا الذي في السماوات...". وفي بعض الكنائس يرفع المؤمنون أيديهم عندما يقول المختفل: "لنرفع قلوبنا إلى العلاء، فيجيب الشعب أو الخورس: هي لنا عند الربّ" وذلك قبل البدء بصلّاة الأناطورية.

الطّوافات: غالبًا ما تنطوي الخدمات البيزنطيّة على دخول احتفاليّ أو طواف بالإنجيل المقدّس ونقل القرايين و الإيقونات إلى وسط الكنيسة. ومن العادات الشّائعة كما قدّمنا، أن نرسم إشارة الصليب عند مرور الطّواف أمامنا. وفي بعض الأماكن يلمس المؤمنون طرف حلّة الكاهن الذي يحمل المقدّسات. ومن عاداتنا عمومًا أن ندور لنواجه الطّواف بحيث لا يمرّ من خلفنا. وعند تلاوة الإنجيل المقدّس غالبًا ما يتقدّم المؤمنون ويقفوا تحته ليتباركوا منه. وفي بعض الكنائس يُعرض الإنجيل عليهم بعد تلاوته ليقبّلوه.

تناول القربان المقدّس

من الغباوة ألاّ نتناول القربان المقدّس بهتّيب عظيم، بعد تنقية نفوسنا بالصلّاة والصّوم بقدر المستطاع (1 كورنثس

11: 26-31). فعندما يحين وقت المناولة، علينا أن نتقدّم بخشوع

واضعين يدنا اليمنى فوق اليسرى بشكل صليب على صدرنا. وبينما يتناول الشّخص الذي أمامك، قم بمطانية تأهّبًا. وإذا كان الكاهن لا يعرف اسمك فادكره له ليكرّره أثناء قوله: "عبد الله (فلان) يتناول إلخ...". ثمّ افتح فمك جيّدًا ولا تحاول أن تقول شيئًا، مثل آمين، أو شكرًا، إلخ... حينما يناولك الكاهن.